

المهندس: "القائد الرسالي"



المهندس: "القائد الرسالي"

"أنا أدعو لك كل ليلة باسمك"، هكذا صرّح له سماحة الإمام الخامنئي دام طله عندما التقى الشهيد "أبو مهدي المهندس" (رضوان الله عليه) في طهران، وقال فيه بعد شهادته: "على العدو أن يعلم أن استشهاد قيادات مثل "أبو مهدي المهندس" سوف يؤدي إلى تعزيز نهجهم بالعزّة والفخر. لا ريب أن استشهاد هؤلاء القادة العظماء هو بادرة النصر للإسلام، والهزيمة والخزي والعار للأعداء في المنطقة" (1). ما سرّ هذه الشخصية القيادية لتكون رمزاً من رموز عزّة الأمة وفخرها؟!

في هذا المقال، وفي ذكرى عروج القائد الشهيد "أبو مهدي المهندس" (رضوان الله عليه)، باقة فوّاحة من بعض قصصه ومواقفه الدالّة على تواضعه وأخلاقه الطيّبة في مسيرته الجهادية القيادية.

* "من واجبي خدمتهم"

ينقل الحاجّ أبو علي الكوفيّ (المعاون التنفيذيّ للحاجّ المهندس) موقفاً حصل مع الشهيد أبو مهدي، فيقول: "كنتُ ثلاثة أشخاص نرافق الحاجّ المهندس عند زيارته لمقبرة وادي السلام، عندما لاحظ عدم نظافة المكان، طأطأ رأسه حزناً، ثمّ قام بإحضار كيس مهترئ وجده جانباً، وبدأ بجمع النفايات فيه بنفسه! حاولت أن آخذ الكيس منه، قائلاً له: إنّنا سنقوم بهذه المهمّة. لكنّه أصرّ على القيام بذلك قائلاً: "هؤلاء الموتى عراقيّون، وهم أبناء بلدي، ومن واجبي خدمتهم".

* "سأحفظ لك حذاءك"

قبل تسلّم الحاجّ المهندس منصب نائب رئيس هيئة الحشد الشعبيّ -حيث لم يكن لديه كادر ولا حماية ولا سائق- يقول الراوي: تشرّفتُ بأنّ أكون من ضمن كادره الأوّل. وفي أحد الأيام، ذهبنا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد أن خلع الحاجّ حذاءه ليدخل الحرم الشريف، وقفتُ -دون علمه بذلك- عند الباب لأحفظ حذاءه من الضياع؛ نظراً لشدّة الازدحام، وانتظرته إلى أن خرج. وبعد أن أتمّ زيارته، لاحظ خروجي قبله، فسألني: (هل أتممتَ زيارتك؟)، فقلتُ له: لا يا حاجّ، كنتُ أنتظرُك، والآن سأذهب لأداء الزيارة.

هنا، أخبرني الحاجّ أنّّه سيحفظ لي حذائي، فرفضتُ ذلك بشدّة، إلا أنّّه كان مُصرّاً، ثمّ قال لي: (ألم تحافظ على حذائي؟ هيا اذهب). عندما خرجتُ، وجدتُ الحاجّ في المكان نفسه الذي كنتُ أقف فيه، فأخذتُ حذائي وأنا أشعر بإحراج شديد!.

* الدفاع المدنيّ

يقول الحاجّ أبو أبرار السالم: "بعد سقوط النظام البعثيّ والعودة إلى العراق، كان يُطلب من الحاجّ المهندس لعب دور الوسيط في حلّ كلّ مشكلة أو فتنة تقع، حتّى بات يُطلق عليه في الأوساط السياسيّة لقب (الدفاع المدني)".

كان يحلّ المشاكل التي تواجه الوزراء، ويقف إلى جانبهم، ويقدّم لهم الدعم والمساعدة، وتمكّن من إحداث التوافق بين الكتل السياسيّة، حتّى بات له مقبوليّة عند كلّ الأوساط العراقيّة، بلا استثناء. وعندما يتدخّل في حلّ مسألة معيّنة، كان الجميع يستجيب لها؛ لأنّهم كانوا يستشعرون الصدق والإخلاص في تدخّله".

* حقّاً لا بديل له!

في معارك تحرير الموصل، وتحديدًا في منطقة تلّ القصب، ذكر أحد الإخوة المرافقين للحاجّ المهندس أنّّه: "بعد انتهاء واجبنا في مرافقة الحاجّ، وصل الإخوة البدلاء ليحلّوا مكاننا، وقد صادف وجود الحاجّ المهندس عند البوابة أثناء خروجنا، فقال لنا بأسلوبه الأبويّ: (ها بويه نازلين؟). فقلنا له: (نعم حاجّ، هل توصينا بشيء؟)، فقال لنا: (لا سلامتكم، أنتم جاء بدلاؤكم، ولكن مَن هو بديلي أنا؟). فقال له أحد مرافقيه: (يا حاجّ، أنت لا بديل لك!)".

* أوصني يا حاجّ

روى أحمد المهنّا (استشهد لاحقاً): التقيتُ الحاجّ المهندس في أحد مجالس العزاء، ليلة العاشر من محرّم الحرام، اقتربتُ منه، وكنتُ أرغب في احتضانه. وفي هذه اللّحظات، خطر في بالي سؤال: يا حاجّ، بمَ توصيني؟ فأجابني: "أوصيك بالإخلاص، وبأداء صلاة الصبح، وزيارة عاشوراء، وبعدها اذهب حيثُ تريد ولا تهتم".

* خطوبة جريح

كان الشهيد المهندس كثير التفقّد للمجاهدين الجرحى في مستشفيات طبابة الحشد الشعبيّ. وفي إحدى جولاته التفقّديّة، التقى أحد الجرحى الأبطال، وبعد أن سألّه عن أحواله وصحّته، قال الجريح للحاجّ المهندس مازحاً: "يا حاجّ، أريد منك أن تخطب لي عروساً"، فقال له الحاجّ باللغة التي يحيّها الجريح: "أبشر وتدلّ ل". وبعد مدّة، قال الحاجّ لشقيقته: "أريد منك أن تخطبي لي عروساً لأحد أبنائي". فقالت له شقيقته: "يا حاجّ، ليس لديك أبناء ذكور، فمن هو ابنك الذي تريد أن تخطب له؟!". تبسّم الحاجّ المهندس وأجابها: "لديّ الكثير من الأبناء، فكلّ شباب الحشد هم أبنائي وأولادي". وبعد فترة من الزمن، تمّت الخطوبة، وانتهت بالزواج.

* رسالة الطلبة إلى المجاهدين

في إحدى الجولات التفقّديّة للحاجّ المهندس لأبنائه المجاهدين في جبهات الموصل، وصلت رسالة من قبيل طلبة المدارس موجّهة إلى مجاهدي الحشد الشعبيّ؛ لتشجيعهم ودعمهم ولرفع معنويّاتهم. طلب الحاج المهندس قراءتها بنفسه، وممّا جاء فيها:

"السلام عليكم يا أبطال العراق والأسود المنصورين، لولا الحشد الشعبيّ لهلك العراق... وإن شاء الله سوف نتخلص من الإرهاب وترجعون بالسلام. اللهمّ انصر مقاتلي الحشد الشعبيّ الذين يقاتلون في جبهات القتال، ولكم النصر". بعد أن قرأها الحاجّ المهندس بصوته العذب، اقترح أن يدوّن كلّ طالب رقم هاتفه على الرسالة؛ ليصبح هناك تواصل وعلاقة أخوّة بين المجاهد والطالب في المدرسة، ثمّ طلب ورقة وقلماً ليقوم بالردّ على الرسالة بنفسه. ممّا كتبه، وهو مُحاط بأبنائه المجاهدين:

"... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.."

رسائلكم أبنائي وأعزائي الطلبة رسائل عزٍّ وفخر. برسائلكم يزداد عزمنا وهممتنا لمقاتلة أعداء الله والوطن... واليوم، من محيط مدينة تلعفر، نرفع لكم بشرى تحريرها في الأسابيع القادمة، إن شاء الله. حفظكم الله.

(* مقتطف من كتاب دروس وعبر - من وصايا وكلمات قادة النصر.

(1) من كلمة لسماحته دام ظله، بتاريخ 3/9/2020م.

المصدر: مجلة بقية الله